الباب التاسع

الوعي الإسلامي يكشف الفتنة

الفصل السابع والعشرون

التعصب الإيراني للقومية الفارسية

الفصل السابع والعشرون

التعصب الإيراني للقومية الفارسية

لم يترك لنا حكام إيران الحاليون، الذين يقولون: إن ثورتهم إسلامية، فرصة لكي لا نصمهم بالتطرف العرقي والقومي، أي التطرف في التعصب للقومية الفارسية على حساب الأخوة الإسلامية والانتماء الإسلامي.

إن الإسلام لا يمنع أن يحب المسلمُ بلدَه ووطنه الذي عاش فيه وتربى، لكن المنكَر هو عقد الولاء والبراء عليه، وجعل المحبة والبغض بسببه، فليس من ينتمي إلى بلدك، وينتسب إليها بأقرب إليك من المسلم في بلادٍ أخرى، فلا ينبغي أن يكون سبب الموالاة والمعاداة هو الانتماء للوطن أو عدم الانتماء له، بل الولاء والبراء، والحب والبغض ميزانها جميعاً: الإسلام والتقوى.

فالنبي ﷺ كان يحب مكة؛ لأنها أحب البلاد إلى الله، ولم يكن ليحب كفارها، بل قاتلهم لما حاربوا الدين وقاتلوا المسلمين، ولم يكن هو ولا أصحابه ليقدموا حبهم لمكة على شرع الله تعالى، فلما حرَّم الله تعالى على المهاجرين من مكة الرجوع إليها بعد هجرتهم منها إلا للمناسك وثلاثة أيام بعدها

التزموا هذا، ولم يمكثوا فيها أكثر من تلك المدة، فلم يكن حبهم لمكة ليجعلهم يعصون الله تعالى فضلاً عن وقوعهم فيما هو أشد من ذلك.

وقد كان المرجو والمنتظر أن تسير إيران بعد ثورتها التي تصفها بأنها (إسلامية) على نهج الرسول ﷺ، لكن القوم أبوا ذلك، وأصروا على أن يكون مشروعهم السياسي (فارسيًّا)، ونحن نطلق على الإيرانيين اليوم اسم الفُرس، ونسمي مشروعَهم بالمشروع الفارسيّ، للأسباب الآتية:

(١) القومية الرسمية الرئيسة المعتَمَدَة للإيرانيين هي القومية الفارسية، وإيران كانت تُسمى: (بلاد فارس)، إلى أن بدأ عهد الأسرة البهلوية، فسُمِّيَت في عهد الشاه (رضا بهلوي) بالاسم الحالي: (إيران)، وعُمِّمَ اسمها الجديد دبلوماسيًّا ودوليًّا، واعتُمِد رسميًّا عام ١٩٢٥م.

(٢) إصرار إيران على تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي، وقد رفض زعيمها (الخميني) ثم قادتها تسميته بالخليج الإسلامي، الذي اقترحه عليهم، حلاًّ وسطاً، بعضُ قادة الحركات الإسلامية المخدوعة بالثورة الإيرانية الشيعية الفارسية.

(٣) اللغة الرسمية في البلاد هي الفارسية، وذلك بموجب المادة رقم (١٥) من الدستور الإيرانيّ الحاليّ، التي تنصّ حرفيًّا في شقِّها الأول على أنّ: (اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة لشعب إيران هي الفارسية، فيجب أن تكونَ الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية والكتابة بهذه اللغة). ثم يتبعه الشقّ الثاني من المادّة نفسها، الذي بقي مُعطّلًا لم يُعمَل به منذ اعتماد الدستور رسميًّا، وذلك بأمر (الوليّ الفقيه): (ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في

مجال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدريس آدابها في المدارس إلى جانب اللغة الفارسية)، أي إنّ الشق الثاني من هذه المادة أدرِجَ لذرّ الرماد في العيون وحسب.[1]

(٤) نظام الحكم الإيرانيّ يتّبع سياسة تمييزٍ عنصريةٍ ضد كل الإيرانيين من غير الفرس (كالآذاريين والبلوش والعرب والأكراد)، وقد وصف الرئيسُ هاشمي رفسنجاني العربَ الإيرانيين عام ١٩٨٥م بأنهم (غجر متخلّفون)، وكذلك وصفهم مرشدُ الثورة علي خامنئي عام ١٩٩٧م بأنهم (متخلّفون وجاهليون)!

(٥) تأكيداً على القومية الفارسية، وأنّ العمل لها وفي سبيلها (عنصريًّا) كان حاضراً دوماً في عقول زعمائها وفقهاء الشيعة الإمامية عبر التاريخ، يقول الطوسي في ص٢٨٤ من كتابه (الغيبة): (اتّقِ العرب، فإنّ لهم خبرَ سوء، لم يخرج مع القائم منهم واحد)!.. (القائم: هو الإمام المهدي المنتَظَر عند الشيعة).

كما ورد في الجزء ٥٢ ص٢٣١ من موسوعة (بحار الأنوار) للمجلسي ما يأتي: (وليس بيننا وبين العرب إلا الذبح)!

فهذان الفقيهان من أكابر فقهاء الشيعة الإمامية، ينظران إلى العرب وغيرهم نظرةً عنصريةً شاذّة، بكل ما تحمل من حقدٍ تاريخيٍّ عميق الجذور.

(٦) عرب الأحواز محرَّم عليهم أن يُسمّوا أبناءهم بأسماء عربية، أو أن يتقلّدوا أي منصبٍ حكوميّ، أو أن يتحدّثوا باللغة العربية، مع أنّ غالبيّتهم من الشيعة، فالتعصّب تعصّب قوميّ فارسيّ إذن.

(٧) أصدر الرئيس الإيرانيّ الحاليّ (أحمدي نجاد) قراراً في شهر أغسطس/ آب ٢٠٠٦م، يقضي بـ (تفريس) كل جوانب الحياة الإيرانية، العلمية والثقافية والأدبية.. وغيرها[٢].

(٨) ورد في الوصية السياسية الشهيرة للوليّ الفقيه مرشد الثورة الإيرانية: (الخميني)، في الصفحة٢٣ ما يأتي: (وأنا أزعم بجرأة، أنّ الشعبَ الإيرانيَّ بجماهيره المليونية في العصر الراهن أفضلُ من أهل الحجاز في عصر رسول الله). هكذا، يعدّ الخميني أنّ الفُرس اليوم هم أعظم درجةً حتى من جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

(٩) انتشار اللغة الفارسية حالياً في جنوبيّ العراق الشيعيّ، بما في ذلك الأوراق الرسمية التي تقدَّم للمسافرين القادمين من الكويت، وذلك عند بوابات العبور إلى العراق. وإن اللغة الفارسية بدأت تنتشر في إدارات الدولة ومعاملاتها الرسمية في محافظات جنوبيّ العراق الشيعية، وحول هذا يقول طبيب عراقي يعمل في البصرة: (صار علينا أن نتعلّمَ اللغة الفارسية؛ حتى نتمكّنَ من التفاهم مع الناس هنا). (جريدة الشرق الأوسط، النفوذ الإيراني: المستور والمكشوف، ٢٠٠٧/٥/١٨م).

وقد رصدت جريدة الشرق الأوسط -أيضاً- في الجنوب العراقيّ جيل الشباب هناك، (الذي يتعلّم اللغة الفارسية لغةً بديلةً عن الإنجليزية، وينخرط في الثقافة الفارسية إلى درجة اعتياد الاستماع إلى الأغاني الفارسية)، وهي دلالة أكيدة على عمق تغلغل الاحتلال الإيرانيّ القوميّ الفارسيّ للعراق! إذ لماذا تُستبدل اللغة الفارسية تحديداً باللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم، وذلك في بلدٍ عربيٍ مسلم؟!

(١٠) بعض أهالي بلدة (المدائن) العراقية يقولون: (إنّ الهجمات التي استهدفتهم من قبل الميليشيات الطائفية المسلّحة العميلة لإيران، كان هدفها إخلاء المنطقة من سكّانها أهل السنة، ليُتاحَ للإيرانيين الاستيلاء على المدائن وإعادة ترميم (إيوان كسرى)، (بوصفه صرحاً فارسيًّا يذكّرهم بأمجادهم التاريخية)!.. (جريدة الشرق الأوسط، النفوذ الإيراني: المستور والمكشوف، ٢٠٠٧/٥/١٨م).

(١٢) المادّة رقم (١٥) في الدستور الإيرانيّ الحاليّ، تنصّ في شقّها الثاني، كما ذكرنا في الفقرة رقم (٣) على حق الأقليات القومية بإيران في التمتع أو التعلم أو إصدار وسائل إعلامٍ بلغتها.

والمادّة رقم (١٩) تنصّ على أنه (يتمتع أفراد الشعب الإيرانيّ، من أي قوميةٍ أو قبيلةٍ كانوا، بالمساواة في الحقوق، ولا يُعدّ اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه، سببًا للتفاضل).

وتنصّ المادة رقم (٢٠) على أنّ (حماية القانون تشمل جميعَ أفراد الشعب، نساءً ورجالًا، بصورةٍ متساوية، وهم يتمتّعون بجميع الحقوق الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ضمن الموازين الإسلامية)!

إلا أنّ هذه الموادّ الدستورية وغيرها، قد عُطِّلَت بأوامر رسميةٍ صادرةٍ عن (الوليّ الفقيه) الصفويّ الفارسيّ، وذلك منذ قيام الجمهورية الإيرانية الخمينية الحالية، ومنذ تدوين الدستور الإيرانيّ الشيعيّ الجديد[٣].

ومن الأمور التي تثير الريبة في السلوك الإيراني، وتؤكد ما قلناه أن إيران ترفض أن تسمي الخليج بـ (الخليج العربي) وتصر على تسميته بـ (الخليج

الفارسي)، وهي تعدّ ذلك قضية كبرى، لا تهاون فيها ولا تنازل، لدرجة أنه هددت بمقاضاة موقع البحث الشهير على الإنترنت (جوجل) لإزالته اسم الخليج الفارسي من خرائطه. وقال التلفزيون الحكومي الإيراني: إن وزارة الخارجية الإيرانية هددت باتخاذ إجراءات قانونية ضد (جوجل) بسبب رفعه اسم (الخليج الفارسي) من خرائطه، وترك الخليج الواقع بين إيران والدول العربية دون اسم.

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية رامين مهمان باراست: (أحد الأعمال المثيرة للفتنة التي تتخذ في إطار الحرب الناعمة ضد إيران هي عمل (جوجل) المشين بإسقاط اسم (الخليج الفارسي)، وهو مخالف للوثائق التاريخية)[٤].

وهددت إيران عام ٢٠١٠م بمنع شركات الطيران من استخدام مجالها الجوى، إذا أشارت إلى الخليج باسم (الخليج العربي) بدلاً من (الخليج الفارسي).

ولأن المواطنين الإيرانيين العاديين يعلمون مدى حساسية هذه القضية لأهل الحكم، فخلال مباراة كرة قدم بين فريقين إيرانيين أحدهما ينتمي لإقليم أذربيجان ذي الأغلبية التركية شمال إيران، هتفت الجماهير ذات القومية الآذارية بـ (الخليج العربي) بدلًا من التسمية الإيرانية المعروفة: (الخليج الفارسي).

وسبق للأمين العام السابق لمجلس التعاون الخليجي عبدالرحمن العطية أن وصف تسمية الخليج الفارسي بأنها (ضحك على التاريخ) لأن الوجود العربي على الساحل الشرقي للخليج العربي مستمر ومثبت تاريخيًّا منذ أكثر

من ثلاثة آلاف عام، فيما الوجود الفارسي هناك مستحدث لا يعود لأكثر من الدولة الصفوية، أي منذ حوالي خمسة قرون.

وتنوه موسوعة (Wikipedia) الإلكترونية في مقالة بعنوان: (الخليج العربي) إلى أنه نتيجة للتخريب فقد تم تعطيل القدرة على تحرير الصفحة للمستخدمين الجدد أو المجهولين بصورة مؤقتة، إذ يبدو أنه تخريب إيراني متعمد بسبب هذه التسمية، مشيرة إلى أن الساحل العربي للخليج أطول من الساحل الإيراني بأكثر من ألف كيلومتر، وتؤكد الموسوعة أن تسمية (الخليج العربي) معتمدة في جميع البلدان والمنظمات العربية، وتعتمدها الأمم المتحدة في محاضرها ومراسلاتها باللغة العربية.

ولتأكيد الاختلاف في التسمية تشير الموسوعة إلى أن تركيا في العصر الحالي والعثماني سابقاً تطلق اسم (خليج البصرة) بينما تستعمل بقية دول العالم تسمية (الخليج الفارسي) نقلاً عن المصادر الغربية، وتعرض الموسوعة خريطة قديمة نُشرت عام ١٦٣٤ للميلاد في الأطلس الصغير الذي يظهر فيه الخليج، وقد كتب عليه باللاتينية اسم (الخليج العربي).

وعلى الرغم من الجدال بين الدول العربية وإيران حول التسمية، إلا أن السبب ليس التسمية في حد ذاتها، ولا حتى استمرار احتلال إيران للجزر الإماراتية الثلاث، التي كانت تحتلها زمن الشاه أيضًا، حيث لم يظهر التصعيد السياسي والمذهبي بهذا الشكل إلا بعد ارتقاء الملالي للحكم في إيران بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، وبات التوتر مسيطراً على العلاقات العربية الإيرانية، بل هي أكثر تأزماً كلما تقدم بها الوقت بفعل الأحداث السياسية المتلاحقة التي لم تُبدِ خلالها إيران نية حسنة تجاه الدول.

والوجود الفارسي في إيران اليوم لا يقتصر على اللغة الفارسية الرسمية، بل إن له مظاهر عدة وسياسات كثيرة تهدف إلى تعزيز الوجود الفارسي وتكريسه، والأمر هذا ليس وليد اليوم بل كان للدولة الصفوية الشيعية (٩٠٦ هـ) السبق في ذلك، فقد أشار المفكر الإيراني الشيعي د. علي شريعتي، إلى أن الدولة الصفوية قامت على مزيج من القومية الفارسية والمذهب الشيعي، حيث تولّدت آنذاك تيارات تدعو لإحياء التراث الوطني والاعتزاز بالهوية الإيرانية، وتفضيل العجم على العرب، وإشاعة اليأس من الإسلام، وفصل الإيرانيين عن تيار النهضة الإسلامية المندفع وتمجيد الأكاسرة.

وحافظت إيران في عهد الثورة على هذا الإرث ورعته، فالعنصر الفارسي في إيران اليوم هو العنصر الحاكم والمسيطر على مقاليد الأمور على الرغم من وجود عرقيات أخرى كثيرة، وتؤكد الدكتورة آمال السبكي أنه في بداية الثورة ازدادت الخلافات العرقية بين الإيرانيين (الفرس) والأقليات الأكراد والتركمان والعرب والبلوش الذين لم يشاركوا في مكاسب الثورة.

ويصل التعصب الإيراني للعنصر الفارسي ذروته في سعي إيران إلى حصر المرجعية الشيعية فيها، وعدم ذهاب المرجعية إلى مناطق أخرى كالنجف في العراق أو جبل عامل في لبنان، على الرغم من أن (جبل عامل) كان له الدور الأكبر في إرساء المذهب الشيعي في إيران في أثناء حكم الصفويين، وتصر إيران على أن تكون قبلة الشيعة مدينة قم الإيرانية، ولا يكون للعرب هذه الوضعية، وهذا يفسر تعرض المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله للتشكيك في مرجعيته، ذلك أن عنصرًا غير العنصر الفارسي لن يكون بوسعه أن يكون المرجع الأعلى للشيعة، وإن مدينة غير إيرانية لن يكون بوسعها أن تكون (حوزة) الشيعة وقبلتهم.

ويعترف الدستور الإيراني رسميًّا بالديانات القديمة التي هي موجودة في بلاد فارس قديماً كالزردشتية، ويعترف بحقوق أفرادها، ويعطيهم مقاعد في مجلس الشورى منصوصاً عليها، في الوقت الذي لا يحصل أهل السنة هناك على اعتراف رسمي حقيقي وملموس بمذهبهم أو على حرية في ممارسة شعائر الإسلام.

وفي الوقت الذي أبطل فيه الإسلام جميع الأعياد الجاهلية، يحظى عيد النيروز الفارسي بأهمية خاصة في إيران، وإن الشهور الفارسية تحل محل الأشهر الهجرية الإسلامية التي أجمع المسلمون على استخدامها والتي ترتبط بالشعائر والمناسبات الإسلامية ارتباطاً وثيقاً.

وإذا كان الفرس قد أقاموا في السابق دولة قوية، واحتلوا أجزاء من بلدان عربية، وحاربوا الإسلام، فإن هناك في العصر الحديث في إيران من اقتفى هذا الأثر، وحلم بإنشاء دولة قوية، ولو على حساب الآخرين.

كان شاه إيران المخلوع محمد رضا بهلوي يعدّ نفسه قوة كبرى أمام كيانات صغيرة، وكان يرى بلاده القوة الرابعة في العالم، وكان التسليح يستهلك الجزء الأكبر من ميزانية الدولة، ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية قام الشاه باحتلال ثلاث جزر إماراتية عام ١٩٧١م بتواطؤ مع بريطانيا، وكان دائم التهديد للبحرين ومطالباً بضمها إلى إيران، ولم يتوقف عن مطالبته إلا عام ١٩٧٠م، رضوخاً للأمر الواقع والضغط البريطاني.

ولم يكن العراق بعيداً عن الإساءات والأطماع الإيرانية، فقد دعم الشاه عام ١٩٦٨م الفصائل الكردية للثورة والتمرد في شمال العراق، وإضعاف الحكم في العراق.

وعلى منوال الشاه سارت الثورة، على الرغم من العداء الذي ناصبته للشاه، فقد أعادت إيران في ظل الثورة احتلال جزر الإمارات الثلاث أبوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى بداية التسعينيات مدّعية ملكيتها لها، وحتى اللحظة ترفض إيران الوساطة أو مناقشة القضية مع الإمارات[٥].

الهوامش:

(١) د. محمد بسام يوسف، المشروع الإيرانيّ الصفويّ الفارسيّ.. مقدّماته، وأخطاره، ووسائل التصدّي له، منتديات كل السلفيين، ١٤-٧-٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) موقع اليوم السابع، ١٨ مايو ٢٠١٢م.

(٥) الملامح العامة للسياسة الخارجية الإيرانية، مركز التنوير للدراسات الإنسانية.

الفصل الثامن والعشرون

الفكر الصفوي حي في الواقع الإيراني الحالي

الفصل الثامن والعشرون

الفكر الصفوي حي في الواقع الإيراني الحالي

ربما يتصور كثير من العرب والمسلمين أن فكر الدولة الصفوية انتهى، ولم يعد له وجود في الواقع الإيراني اليوم، وهذا غير صحيح ويؤكده واقع ممارسات الدولة الإيرانية على الأرض. فإذا كانت الدولة الصفوية قد جعلت الشيعة (الاثنا عشرية) كياناً مختلفاً تماماً عن باقي كيان الأمة الإسلامية، عن طريق تأصيل الأفكار المذهبية والطائفية وجعلها مذهباً وديناً، فإن السائد في الفكر الإيراني في عصر الثورة الإسلامية هو أن:

(أ) إيران ترعى الأفكار الشيعية المتطرفة، وتحتضن فكرة الأئمة، وكان الخميني نفسه مؤلفاً لنظرية (ولاية الفقيه) التي كانت تأليفاً إضافيًّا في الأفكار الشيعية يبتعد بها كثيرًا عن الأمة الإسلامية وعقيدتها وثقافتها.

(ب) لم ترعِ إيران أي مساعٍ للوحدة الإسلامية، وإنما فعلت العكس وعملت على تصدير الثورة ونشر المذهب (الاثنا عشري) داخل البلاد العربية السنية. فهي لا تريد الأخوة الإسلامية والوحدة الإسلامية إلا إذا كانتا

نابعتين من التصور الإيراني ومن الفكرة الشيعية. وإلا فماذا يعني مساعدتها لـ (حزب الله) في لبنان وجعله أقوى من الدولة اللبنانية؟ وماذا يعني مساعدتها لـ (الحوثيين) في اليمن حتى يخرجوا على الدولة ويرفعوا السلاح في وجهها؟ وماذا يعني مساعدتها لشيعة (البحرين) و(السعودية) حتى يخرجوا على دولهم؟

(ج) ولقد كان التضييق على أهل السنة داخل إيران وقمعهم ومنعهم من أي حقوق، دليلاً دامغاً على روح التعصب المذهبي، لدرجة منع إقامة مساجد السنة؛ لإجبارهم على الصلاة في (الحسينيات) الشيعية التي أسست على الباطل وعلى البدع.

(د) المتأمل للممارسات الشيعية على أرض الواقع يجد أن قادة إيران يجيدون رفع الشعارات وإلقاء الخطب، أما على أرض الواقع، فإن الأفعال تناقض الأقوال، فالشعارات المرفوعة عن (فلسطين) و(الأقصى) و(القدس) كثيرة ولكنها غير مترجمة في الواقع، ولا نجد إجراءً إيرانيًّا واحداً ضد الكيان الصهيوني.

(هـ) إذا كانت الدولة الصفوية كان دأبها وديدنها التعاون مع الدول غير الإسلامية ضد دولة الخلافة العثمانية السنية والدخول معها في حروب دائمة، نتيجة لكراهيتها لأهل السنة، فإن إيران اليوم على علاقة غير جيدة بغالبية الدول العربية، نتيجة للمؤامرات والمخططات الشريرة التي تديرها ضدهم وتتمكن هذه الدول العربية من كشفها.

وإذا كنا قد تعرضنا بالتفصيل في هذا الكتاب لتاريخ وكوارث الدولة الصفوية الشيعية المتطرفة، فإننا نوجز هنا ونركز على تطرف هذه الدولة وعنصريتها وعدائها ضد كل ما هو عربي وسني.

وتطلق (الدولة الصفوية) على الدولة التي أسّسها الشاه إسماعيل الصفويّ وعلى أتباعه، وهو من سلالة الشيخ صفيّ الدين الأردبيلي الذي كان يسكن مدينة (أردبيل) التابعة لإقليم أذربيجان في شماليّ غرب إيران. والشيخ الأردبيلي هو أحد مريدي الشيخ تاج الدين الزاهد الكيلاني، صاحب إحدى الطرق الصوفية، وكان ينتمي إلى المذهب الشافعيّ.

وقد قام حفيد صفيّ الدين (الشيخ إبراهيم) بتطوير طريقته الصوفية، ثم باعتناق المذهب الشيعيّ (الشيعة الإمامية) وتحويل طريقته إلى طريقةٍ شيعيةٍ إمامية متعصّبةٍ. وسار على دربه ابنه الأصغر (جنيد) الذي قُتِلَ في إحدى حروبه، فخلفه ابنه (حيدر) الذي لُقِّبَ بلقب (سلطان)، وأمر أتباعه بأن يضعوا على رؤوسهم (قلنسواتٍ) من الجوخ الأحمر، تضم الواحدة منها اثنتي عشرة طيّةً رمزاً للأئمّة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، وقد قُتِلَ (حيدر) أيضاً في إحدى حروب الثأر لوالده، وخلفه ابنه (إسماعيل)، الذي أعلن فيما بعد دولته الصفوية، عام ١٥٠١م، ووطّد دعائمها، فامتدّت من إيران إلى ما حولها، إلى أن وصلت بغداد.

كان المسلمون في إيران بأغلبيتهم الساحقة (٩٠٪) من أهل السنة الشافعية، إلى أن قامت الدولة الصفوية على يد (إسماعيل الصفويّ) عام ١٥٠١م، الذي اتّخذ من مدينة (تبريز) عاصمةً له، وأعلن أنّ دولتَه (شيعية إمامية اثنا عشرية)، وقام بفرض عقيدته بالقوّة، على الرغم من أنّ علماء الشيعة حذّروه بألا يفعل ذلك؛ لأنّ الأغلبية الإيرانية الساحقة تنتمي إلى أهل السنة، لكنه رفض وقال قولته المشهورة: (إنني لا أخاف من أحد، فإن تنطق الرعية بحرفٍ واحد، فسوف أمتشق الحسام، ولن أتركَ أحداً على قيد الحياة)[1].

ثم قام بصكّ عملة الدولة، منقوشًا عليها مع اسمه عبارة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي وَليّ الله)، ثم أمر جنوده بالسجود له كلما قابلوه، وقد اشتهر بدمويّته وساديّته الشديدة، فقام بقتل علماء المسلمين وعامّتهم، فقتل أكثر من مليون مسلمٍ سنيّ، ونهب أموالهم، وانتهك أعراضهم، وسبى نساءهم، وأمر خطباء المساجد من أهل السنة بسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) رضي الله عنهم، وبالمبالغة في تقديس الأئمة الاثني عشر.. ووصل الأمر به إلى أن ينبشَ قبور علماء المسلمين من أهل السنة ومشايخهم، ثم يحرقَ عظامهم!.. وهكذا كانت دولة الشاه (إسماعيل الصفوي) تأسيساً لكل الدول الإمامية (الإثنا عشرية) ومثالاً يُحتَذى بها شيعيًّا فيما بعد، من حيث ممارساتها الشاذة.

امتدّت الدولة الصفوية فيما بعد في كل أنحاء إيران وما جاورها، فقضى (الشاه إسماعيل) على الدولة التركمانية السنية في إيران، ثم سيطر على (فارس وكرمان وعربستان) وغيرها. وكان في كل موقعةٍ يذبح عشرات الآلاف من أهل السنة إلى أن هاجم بغداد واستولى عليها، ومارس أفظع الأعمال فيها ضد أهل السنة، ومما فعله: قام بهدم مدينة بغداد، وقَتل الآلاف من أهل السنّة، واستخدم التعذيب الشديد بحقّهم قبل قتلهم، ثم توجّه إلى مقابرهم، فنبش قبور موتاهم، وأحرق عظامهم. وتوجّه إلى قبر (أبي حنيفة) و(عبدالقادر الجيلاني) ونكّل بهما ونبشهما. وكذلك قام بقتل كل من ينتسب لذرية القائد المسلم (خالد بن الوليد) رضي الله عنه في بغداد لمجرّد أنهم من نسبه، وقَتَلهم قتلةً شنيعة.

عندما وصلت أخبار المجازر الصفوية وممارساتها إلى السلطان العثماني (سليم الأول) عام ١٥١٤م، قام بتجهيز جيشه وحرّر بغداد بعد ست سنواتٍ

من الاحتلال الصفويّ، وأسر زوجة (إسماعيل الصفوي)، وقتل المتواطئين على احتلال العراق. وبعد فراره، قام (إسماعيل الصفويّ) بإبرام حلفٍ مع الصليبيين البرتغاليين، على أن يحتل الصفويون (مصر والبحرين والقطيف)، ويحتل البرتغاليون (هرمز وفلسطين).. لكنّ العثمانيين أحبطوا مخطّطه هذا، إلى أن هلك (إسماعيل الصفوي) في (تبريز) عام ١٥٢٤م.. فخلفه ابنه (طهمباسب الصفويّ).

خلف (إسماعيل الصفوي) ابنه (طهماسب)، الذي تحالف مع المجر والنمسا ضد الدولة العثمانية التي كان يحكمها السلطان (سليمان القانوني) عام ١٥٢٥م. واستعان (طهماسب) بأحد رجال الدين الشيعة اللبنانيين «نور الدين علي بن عبدالعال الكركي»، فكتب له المؤلّفات التي برّرت ممارسات الشيعة ضد السنة، وأسّس بفكره ومؤلّفاته الشيعية لما يُسمى بـ (ولاية الفقيه)، بأن اعتبر زعيمَ الدولة الصفوية (نائبًا للإمام المنتَظَر الغائب) وكالةً. وعاد نفوذ الصفويين إلى العراق عن طريق عملائهم الشيعة هناك، لكن السلطان (سليمان القانوني) أعاد فتح العراق من جديد، وقضى على حكامه الموالين للصفويين.

هلك (طهماسب) بالسمّ على يدي زوجته، فخلفه من بعده ابنه (إسماعيل الثاني) ثم ابنه الثاني (محمد خدابنده) ثم جاء (عباس الكبير بن محمد خدابنده).

تواطأ (الشاه عباس الكبير) مع بريطانيا ضد العثمانيين، وحاصر المدن السنية، ونكّل بها وبأهلها، وقام بترحيل (١٥٠٠) عائلة سنية كردية، وقتل سبعين ألفاً من الأكراد السنة، ومنع الحج إلى مكة المكرّمة، وأجبر الناس على

أن يحجّوا إلى قبر (الإمام موسى بن الرضا) في مدينة (مشهد)، بينما قام بتكريم النصارى والأوروبيين، وبنى لهم الكنائس، وأعفاهم من الضرائب، وشاركهم أعيادهم، واحتسى الخمر معهم.

هاجم الشاهُ (عباس الكبير) العراقَ، واستولى على بغداد والموصل وكركوك، ثم على معظم البلاد، وحاول فرض (التشيّع) بالقوة، لكنّ أهل العراق رفضوا ذلك، فنكّل بهم، قتلاً وتشريداً وتعذيباً، وسبى النساء والأطفال، وأعاد هدم مرقدي الشيخ (عبدالقادر الجيلاني) و(أبي حنيفة النعمان)، وحوّل المدارس السنّية إلى (إصطبلات)، وقام بإعداد قوائم طويلةٍ لإبادة أهل السنّة في العراق.. إلى أن أهلكه الله، فخلفه الشاه (صفيّ الأول)، الذي حرّر العثمانيون العراقَ في عهده مرةً جديدةً وأخيرة.

وانتهت الدولة الصفوية بعد مئة عامٍ تقريباً من عهد (صفيّ الأول)، أي عام (١٧٢٢م)، بعد أن استمرّت (٢٢١) سنة. ولم يعد الصفويون إلى بغداد، إلا عام ٢٠٠٣م، على ظهور الدبابات الأمريكية الصليبية.. وذلك بعد أن عادوا إلى حكم بلاد فارس (إيران)، إثر انتصار ثورتهم الصفوية الشيعية بزعامة (الخميني) عام ١٩٧٩م، وبعد أن رفعوا شعار: (تصدير الثورة الصفوية الخمينية) منذ ذلك الحين[٢].

وقد استُحدِثَت مجموعة من البدع في العهد الصفوي، ثم سار الشيعة على نهجها، وكأنها عقائد بدهية، ومن ذلك:

(١) سبّ الصحابة والخلفاء الراشدين الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) رضوان الله عليهم، وذلك على المنابر وفي الشوارع والأسواق.

(٢) الاحتفال سنويًّا بذكرى مقتل الحسين رضوان الله عليه، وممارسة التطبير (ضرب الرؤوس بالسكاكين الحادة)، واللطم على الوجوه والصدور، وضرب الظهور بالجنازير، وارتداء الثياب السوداء، وإنشاد أشعار البكائيات، وذلك منذ دخول شهر (المحرّم)، وحتى اليوم العاشر منه (يوم عاشوراء)، وتم تحريم الزواج في هذا الشهر.

(٣) إدخال الشهادة الثالثة على الأذان: (أشهد أنّ عليًّا وليّ الله).

(٤) السجود على التربة الحسينية (قطعة من طين كربلاء).

(٥) وجوب دفن الموتى الشيعة في النجف.

(٦) تغيير اتجاه القبلة في مساجد الشيعة، مخالفةً لأهل السنة.

(٧) إجازة سجود الإنسان للإنسان.

(٨) رصد مرتّباتٍ ضخمةٍ لرجال الدين الشيعة، ومَنحهم إقطاعياتٍ وأوقافٍ خاصة، وهي مستحدَثات مأخوذة عن (الفُرس)، وذلك تأسيساً لما يُسمى عند الشيعة اليوم بـ (الخُمس)، وكل ذلك لكي يقومَ رجال الدين بدعم الشاه أو السلطان عند عامة الشعب.

وهكذا، اتصفت حقبة الحكم الصفوي بثلاثة أمورٍ رئيسة:

(١) فرض التشيّع بالقوّة، وارتكاب مختلف أنواع الجرائم في حق أهل السنة، وتحويل إيران من دولةٍ سنّيةٍ خالصةٍ إلى دولةٍ ذات أغلبيةٍ شيعيةٍ صفوية (النسب الحالية هي: ٦٣٪ شيعة، و٣٥٪ سنّة، و٢٪ نصارى وأرمن ويهود وزارادشت وبهائيون).. إذ يقدَّر عدد أهل السنة في إيران اليوم بخمسةٍ وعشرين مليون نسمة.

(٢) الغلوّ وإدخال مختلف أنواع الخرافات والبدع والطقوس (اليهودية والمجوسية والنصرانية) إلى الشعائر الإسلامية وعقيدة الإسلام.

(٣) التحالف مع النصارى والصليبيين ضد المسلمين[٣].

إن سمة العنف التي يتصف بها نظام رجال الدين الحاكمين في إيران تستمد جذورها التاريخية، من بناة الفكر الشيعي الصفوي، حيث نجد أوجهاً كثيرة للتشابه بين مذهب الصفوي ونظام ولاية الفقيه الحاكم في طهران. وأوجه هذا التشابه تتمثل في مجالات عدة منها اعتماد العنف وسيلة في مواجهة خصومه واتباع فكرة الولاء والبراء، والتوسع عبر الاحتلال والضم القسري، والاعتقاد بالغيبيات والعمل على نشرها، والاستنجاد بعلماء الشيعة في لبنان دون سواهم لمساعدتهم على نشر الدعوة الصفوية، واعتماد اللغة الفارسية وسيلة للتخاطب بين أتباعهم وفرضها على الغير بالأسلوب نفسه.

هذه المرتكزات تشكل حجر الزاوية لنظام ولي الفقيه الذي يتبعونه اليوم في إيران، ويسيطرون من خلاله على زمام الأمور.

فالشاه إسماعيل الصفوي عندما حاول نشر الدعوة أول مرة في «تبريز» وهي عاصمة إقليم أذربيجان دعا وجهاء أهلها إلى الاجتماع في إحدى ساحتها العامة وطلب منهم سب الخلفاء الراشدين الثلاثة، وعندما رفضوا ذلك تشير بعض الروايات إلى أنه قتل منهم ما يقارب ٤ آلاف مواطن، وهذه الفكرة نجدها لدى الصفويين الجدد في إيران، فعندما أقيم نظام ولاية الفقيه في إيران أول مرة عقب انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، أقدم على مواجهة خصومه عبر أدوات العنف، وكان أول ضحاياه المجازر البشعة وأعمال العنف

التي ارتكبت في حق الشعب العربي الأهوازي أوائل عام ١٩٨٠م، وكذلك المجازر التي ارتكبت في حق الشعب التركماني والأكراد وسائر القوميات الإيرانية الأخرى، حيث نجد تجليات هذا العنف في تصريحات آية الله صادق خلخالي، الذي خاطب بها الشعب العربي الأهوازي، الذي كان يطالب بحقوقه القومية إبان انتصار الثورة، قائلاً: (سنملأ شط العرب بالدماء، ولن نسمح بذلك أبداً). وذكر في مذكراته التي نشرتها جريدة (همشهري) في عددها العاشر عام ٢٠٠١م قائلاً: (لقد قتلت الكثير من الشعب الكردي والعربي وبقايا النظام الملكي، ولكنني لست نادماً، ولا يعذبني ضميري). أما الجنرال مدني الذي قال الخميني في حقه: (إنه نور عيني) فقد قال: (إن العرب يثيرون الشغب، وسأشرب من دمائهم إذا استمروا في الضغط من أجل تحقيق مطالبهم)[٤].

وحينما استقر الأمر للشاه إسماعيل الصفوي، كان أول ما فكر فيه هو احتلال العراق، وتفيد المصادر التاريخية أنه استخدم ضد أهلها والمدن العراقية التي خضعت لاحتلاله الأسلوب نفسه الذي كان قد استخدمه من قبل في حق الأتراك - الآذاريين وجمهرة كبيرة من المواطنين الإيرانيين الذين كانوا يعتنقون المذهب السني. وعجبًا أن نرى إيران الآن، وقد احتلت العراق، وسيطرت عليه.

لقد اتخذ الشاه إسماعيل سب الخلفاء الثلاث وسيلة لامتحان الإيرانيين في موالاتهم للمذهب الصفوي، وهذا ما نراه في فكر نظام ولاية الفقيه الذي ما إن استقر به الأمر في إيران، حتى انتهج نهج تصدير الثورة، ولم يفكر في تصديرها إلى أي من جيرانه سواء في باكستان أو أفغانستان أو تركيا، وإنما

إلى البلدان العربية وفي مقدمتها العراق. وكان من نتائج هذا الفكر اندلاع الحرب العراقية الإيرانية التي راح ضحيتها الملايين من الأبرياء.

وعلى غرار المذهب الصفوي في اتباع العنف، يرى الصفويون الجدد من أنصار نظام ولاية الفقيه أن هناك جرائم بحسب ادعائهم لا تتطلب الحاجة للرجوع للقاضي، ومن حق أي موالٍ إن بلغ الرشد أن يبت بها، وينفذها دون مجوز شرعي، وقد تصل عقوبتها إلى الإعدام، مثل: (القصاص، والمرتد، وسابّ النبي، ومدعى النبوة، وغيرها).

واليوم نرى فرق الموت للقوى الموالية للنظام الصفوي الإيراني والتي تغلغلت في أوساط المجتمع العراقي وفي مفاصل الدولة العراقية بعد سقوطها، وهي تعمل قتلاً وتنكيلاً في خصومها السياسيين، ومن غير أتباع المذهب الشيعي، مستندين على التوجيهات الصادرة عن الولي الفقيه[٥].

لقد كان الشاه إسماعيل الصفوي يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه لفرض التشيع على المسلمين، وأن هاتفاً غيبياً يدفعه ويرشده، وكان يؤمن بالكشف، أي الإلهام الغيبي، والمعروف عنه أنه كان يعلن لمريديه أنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر، وأنه لذلك معصوم، وليس بينه وبين المهدي أي فاصل، ويروى عنه أنه عندما فتح (تبريز) قال: (أنا مكلف بذلك، والله والأئمة المعصومون معي، وإني لا أخاف أحداً، فإذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فيهم، فلا أبقي أحداً منهم حيًّا». ومثل هذا التفكير نجد صداه اليوم في تصريحات الغالبية العظمى من زعماء نظام ولاية الفقيه، حيث يعتقد أنصار هذا النظام أن الإمام المهدي يخصهم بالاجتماع به لتلقي الأوامر دون غيرهم، وعندما صرحت امرأة من

أراك أنها تلتقي المهدي تم اعتقالها على الفور، وإن خطابات أحمدي نجاد لا تخلو من هذا الغلو، فقد صرح مراراً أنه يتلقى أوامره من الائمة المعصومين ومن الإمام المهدي تحديداً.

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين علماء الشيعة في لبنان ونظام ولاية الفقيه في إيران، فإن مثل هذه العلاقة تعود جذورها إلى النشأة الأولى للمذهب الصفوي في إيران، فعندما توفي الشاه إسماعيل الصفوي عام ١٥٢٤م تولى الخلافة من بعده ابنه (الشاه طهماسب) الذي أدرك أنه لا يستطيع أن يكون مثل أبيه، رئيساً للدين والدولة في آن واحد، فرأى أن الحكمة تقتضي أن يترك أمر التشيع بيد الفقهاء، فاستدعى إليه الشيخ علي بن عبدالعالي الكر كي، وهو من «كرك نوح» من قرى بعلبك لينهض بأعباء هذه المهمة، وقد أصدر فرمانًا اعتبر فيه الكر كي صاحب الدولة الحقيقي بوصفه نائب الإمام الغائب صاحب الزمان، وأن على الجميع امتثال أوامره، فمعزول الشيخ لا يستخدم ومنصوبة لا يعزل.

وعادت الفكرة في إيران الحديثة، حيث أصبح شيعة لبنان أحد مقومات الأمن الإستراتيجي الإيراني في المنطقة، وقد بنيت النواة الأولى لتسليح هذه الطائفة على يد الإمام موسى الصدر، القادم من إيران الذي أسس «حركة أمل» الشيعية، وبعد انتصار الثورة الإيرانية تخلى أتباع نظام ولاية الفقيه عن «حركة أمل»، وتبنوا منظمة أكثر صرامة، فشكلوا (حزب الله) اللبناني الذي سداه ولحمته من إيران، حيث أصبح هذه الحزب حصان طروادة للنفوذ عبره إلى العالم العربي[٦].

الهوامش:

(١) د. محمد بسام يوسف، المشروع الإيرانيّ الصفويّ الفارسيّ.. مقدّماته، وأخطاره، ووسائل التصدّي له، منتديات كل السلفيين، ١٤-٧-٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) جابر أحمد، العنف في الفكر الشيعي الصفوي من شاه إسماعيل إلى أحمدي نجاد، موقع الحوار المتمدن، العدد: ١٨١١، ٢٠٠٧/١/٣٠م.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

الفصل التاسع والعشرون

ولاية الفقيه تقويض لدور الأمة

الفصل التاسع والعشرون

ولاية الفقيه تقويض لدور الأمة

نظام ولاية الفقيه فكرة مستحدثة في الفقه السياسي الشيعي في القرن الرابع عشر، لم يكن ثمة إجماع بين المفكرين الشيعة، بما في ذلك الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية) المذهب الرسمي لإيران فيما بعد، على حجيتها سواء عند نشأتها أو في كل مراحل تطورها. فالفكر الشيعي كما أسسه الإمام السادس جعفر الصادق وشرحه هشام بن الحكم، والكليني، والمازنداني، يؤمن بفكرة محورية هي الإمام المعصوم المعين بالنص والوصية من الله سبحانه وتعالي ومن رسوله ومن علي بن أبي طالب. وهذا الإمام معصوم، حيث سلطته مطلقة، وطاعته واجبة، وباختفاء الإمام الثاني عشر، محمد بن الحسن العسكري، سنة ٨٣٧ م بدأ عصر الغيبة، ولكن الإمام المعصوم الثاني عشر سيعود لكي يقيم العدل في الأرض. وفي غيبته على الأمة أن تنتظر انتظاراً سلبيًّا، بمعني أنه لا يجوز لأفراد الأمة العمل بالسياسة أو مقاومة الحكام الظالمين؛ لأن ذلك سيؤخر من عودة الإمام. لهذا انسحب الشيعة (الاثنا عشرية) من العمل السياسي في عصر غيبة الإمام؛ لأن تلك المهمة

تقع على عاتق الله، وليس على عاتق الأمة. امتدت تلك المرحلة في الفكر (الاثنا عشري) من عصر اختفاء الإمام الثاني عشر في القرن التاسع، وحتى القرن الرابع عشر مع ظهور فكر الجزيني. ساد فيها الاعتقاد بأن عودة الإمام الغائب ستكون تتويجاً لعموم الظلم، وأن هذا الظلم لن ينجلي إلا بعودة الإمام الغائب، ومن ثم فلا دور للفقيه[1].

ومع طول غيبة الإمام، بدأ الفكر الشيعي في التساؤل عما إذا كان ثمة من يشغل الفراغ الذي نتج عن الغيبة بشكل مؤقت، بحيث يقوم ببعض وظائف الإمام. وقد أدى ذلك التساؤل إلى انقسام الفكر الشيعي إلى تيارين: أولهما إخباري، والثاني أصولي. تألف التيار الأول ممن أطلق عليهم اسم (الإخباريين)، وهم الذين اعتبروا أن الفقه هو ما صدر عن الأئمة فقط، وأن دور الفقهاء هو (الإخبار) بما قاله الإمام، وليس تقديم أي اجتهاد فقهي. فمثل هذا الاجتهاد يعد انتهاكاً لحقوق الأئمة. ومن ثم، فليس لأحد، بمن في ذلك الفقهاء، أن ينوب عن الأئمة في اختصاصاتهم. وبناءً عليه يظل الوضع الراهن قائماً إلى حين عودة الإمام، مع ضرورة تخليص الفقه من شوائب الاجتهاد العقلي وإلى الالتزام بالفقه الذي يقصر الإمامة على الأئمة المعصومين، أي أن يكون الفقيه مجرد مخبر لأحاديث الرسول والأئمة المعصومين. يلاحظ أن هذا التيار ظهر لاحقاً لظهور تيار ولاية الفقيه. وكان أهم من مثله الميرزا محمد أمين الإسترابادي، والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي.

أما التيار الثاني، وهو التيار الأصولي، فقد رأى أنه في غيبة الإمام يحل الفقيه محله. بيد أن دور الفقيه ينبغي أن يقتصر على المسائل الدينية ورعاية

أحوال الأتباع من خلال الفتوى والقضاء وإقامة الشعائر، ومباشرة الأوقاف، دون الدخول في معترك السياسة، اللهم إلا في حدود التأكد من مطابقة القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية للشريعة الإسلامية. يقول أنصار هذا التيار إذن بوجود دور للفقيه في غيبة الإمام، ولكن هذا الدور دور محدود بالأمور الدينية والاجتماعية، وهو ما سمي (بخصوص ولاية الفقيه). تبلور هذا التيار بوضوح مع ظهور فكر محمد بن مكي العاملي الجزيني المعروف بالشهيد الأول (١٣٣٣-١٣٨٤)، الذي رأى أنه في غيبة الإمام المعصوم، فإن الفقيه ينوب عنه نيابة عامة ومطلقة في جمع الشؤون الدينية والاجتماعية، ويتحصل ذلك في القيام بمهام القضاء، وإقامة الحدود، وصلاة الجمعة. قال الجزيني: إن كل فقيه اجتمعت فيه أوصاف معلومة هو نائب عام عن الإمام، سماه (نائب الغيبة)، مع الإشارة إلى أن كلمة (عام) هي وصف للنائب، وليس للنيابة، تمييزاً له عن النائب (الخاص) الذي كان الإمام الثاني عشر يتصل به لرعاية المؤمنين في البلاد البعيدة. قال الجزيني: إن (النائب العام) له صلاحيات قضائية وحسبية، ويجب أن يدفع له الخمس، وكان الجزيني أول من أمر بالعمل بالخمس. ويرى بعضهم أن هذا هو سبب اعتقاله ثم إعدامه؛ لأنه بذلك كان يؤسس لمرجعية وسلطة موازية للخلافة. ولكنه لم يشر إلى دور سياسي للفقيه، وكان يعتقد بحرمة إقامة الحكومة الإسلامية وعدم جوازها إلا للإمام المعصوم.

ولم يبدأ الفكر الشيعي في الحديث عن الدور السياسي للفقيه إلا مع تأسيس الدولة الصفوية سنة ١٥٠٠م، حيث استعانت تلك الدولة بالفقهاء من جبل عامل لنشر المذهب الشيعي الإمامي، ومنهم نور الدين علي بن الحسن الملقب بالعاملي الكركي (١٤٦٦-١٥٣٤م)، المحقق الثاني. وكان تأسيس الدولة

الصفوية بمنزلة خروج على النظرية التقليدية للإمامة، إذ أدت إلى تطور انقلابي في الفكر الشيعي (الاثنا عشري). فالدولة الصفوية نقلت الشيعة من مرحلة الانتظار السلبي إلى مرحلة تأسيس الدولة. وقد قال الشاه إسماعيل الصفوي، مؤسس الدولة، إنه قد أخذ إجازة من (صاحب الزمان، المهدي المنتظر) (الإمام الثاني عشر)، بالثورة والخروج على أمراء التركمان الذين كانوا يحكمون فارس، وأكد أنه شاهد الإمام علي بن أبي طالب، وأنه حثه على إعلان الدولة. واعتبر الشاه إسماعيل نفسه (نائب الله، وخليفة الرسول والأئمة الاثنا عشر) تأسيساً على الحق الإلهي للملوك الإيرانيين قبل الإسلام، وعلى وراثة هذا الحق نتيجة زواج جده الحسين بن علي ببنت يزدجرد، فأنجبت منه الإمام زين العابدين، ومن ثم اجتمع الحقان: حق الملوك الإيرانيين، ونيابة الإمام المهدي.

أتى الكركي إلى إيران من جبل عامل في لبنان. وهناك طور نظرية النيابة العامة للفقهاء متأثراً بقيام الدولة الصفوية. وأجاز للفقهاء في حالة الغيبة إقامة الحدود، والقضاء، وصلاة الجمعة. ومن ثم حصر النيابة العامة للفقهاء دون الشاه إسماعيل الصفوي. ولكن بعد وفاة الشاه وتولي ابنه طهماسب الحكم، أعلن الكركي أنه هو نائب الإمام وأعطي للشاه طهماسب إجازة لحكم البلاد. وهكذا قبل الفكر الشيعي (الاثنا عشري) فكرة إقامة الدولة في عصر الغيبة، وهو الأمر الذي كان مرفوضاً في عصر الإمام جعفر الصادق.

وفي عهد الدولة القاجارية التي حلت محل الدولة الصفوية، قام الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٨١٢م بمنح السلاطين القاجار إجازة

للحكم باسمه بوصفه نائباً عن الإمام، وجعل سلطة نائب الإمام تدور حول إقامة الحدود، وتلقي الخمس. وقد كان قيام التحالف بين الكركي والشاه إسماعيل وما تلاه من تحالفات سبباً أساسيًّا في ظهور التيار الإخباري الذي رأى أن فكرة ولاية الفقيه تمثل هدماً للنظرية الشيعية التقليدية[٢].

وخلاصة القول: إن الفكر السياسي الشيعي شهد على يد التيار الأصولي تحولاً جذريًّا تمثل في ابتداع نظرية ولاية الفقيه، وإن كان قد حصر تلك الولاية في الأمور الدينية والاجتماعية، دون أن تشمل الأمور السياسية. وهو ما تبلور منذ عهد الدولة الصفوية، وأكده النراقي والخميني، حيث بدأت المرحلة الثالثة من تطور الفكر السياسي الشيعي (الاثنا عشري)، وهي مرحلة عمومية ولاية الفقيه، وإن نظرية ولاية الفقيه عند نشأتها وفي كل مراحل تطورها، لقيت اعتراضات كثيرة من داخل دائرة الفقه السياسي الشيعي ذاته.

عندما كان الخميني في النجف ألف كتاباً سماه (ولاية الفقيه)، ولم يفكر أحد قط في أن هذا الكتاب سيكون في يوم ما مثل (كفاحي) لأدولف هتلر، ويطبق على شعب إيران المسكين، ولذلك لم يعر أحد اهتماماً بمضامينه وفحواه، واعتبر فرضية فقهية كثيراً ما نجد مثلها في مؤلفات المؤلفين.

وموضوع ولاية الفقيه من البدع التي ابتدعها الخميني في الدين الإسلامي، واتخذ منه أساساً للاستبداد المطلق باسم الدين، فقد جاء الخميني الشيعة (الاثنا عشرية) بفكرة جديدة على مذهبهم، وهي ما عرفت بـ (ولاية الفقيه) وملخصها أن الفقيه المعتبر عندهم له الحق في القيام بما يقوم به الإمام الغائب في كل شيء عدا الجهاد الأكبر، وأن كثيرين من فقهاء الشيعة اليوم مؤهلون للقيام بهذه الولاية إلا أنه هو الذي تولى العملية كاملة.

ويبرر الخميني استحداثه لهذه النظرية بأن الشيعة انتظروا ألف سنة الآن، ولم يخرج الإمام المنتظر، وقد ينتظرون ألفاً أخرى قبل خروجه، فلا يمكن تعطيل الدين والحرمان من دولة شيعية آلاف السنين قبل خروجه، لذلك يمكن أن يقوم الفقيه في المذهب الشيعي بهذا العمل نيابة عنه.

وكما نرى، فهي نظرية قائمة على أدلة عقلية مجردة، وليس لها أي مستند نصّي في دينهم، لذا فهي أقرب إلى المناورة السياسية منها إلى النظرية الدينية، وفي الوقت نفسه، فإنها لم تحظَ بالقبول لدى المراجع الشيعية العليا التي كانت تعدّ أعلى من الخميني نفسه، وعلى رأسهم آية الله الخوئي في العراق، الذي كان يُعدّ وقت خروج الخميني أعلى مرجع شيعي في العالم. إلا أن نظام الحوزات الشيعي مكن الخميني من كسب الأتباع له واحدًا واحدًا حتى جعل الآخرين أمام الأمر الواقع. ثم حصل له ما أراد من إسقاط النظام الشاهنشاهي في إيران، وأقام مكانه نظاماً شيعيًّا رافضيًّا متعصبًّا[٣].

لقد كان المذهب الشيعي قبل ذلك ينتظر الإمام الثاني عشر الذي دخل في السرداب قبل أكثر من ألف سنة، ومازال حيًّا إلى الآن ليظهر من سردابه، ويقيم له دولة يتبعونها في ذلك. حيث يشترط الشيعة لصحة الدولة في أي وقت من الأوقات أن يرأسها أحد الأئمة (الاثنا عشر)، وقد ذهبوا كلهم ولم يبقَ غير صاحب السرداب، فمن دونه لا يجوز أن يقيموا دولة أو أن يصلوا الجمعة أو أن يجاهدوا ضد عدو (إلا للدفاع عن النفس) وغيرها من واجبات الإمامة، والإمام عندهم معصوم من الخطأ والنسيان.

ولما جاء الخميني بولاية الفقيه قال: إن الفقيه الذي ينوب عن الإمام له أيضاً العصمة، لذلك ادّعاها لنفسه، وهي اليوم تدّعى لمن جاء مكانه، وهو علي خامئني.

وولاية الفقيه واقع الأمر ادعاء للمهدية بأسلوب ذكي وبطريقة محنكة، فهو قد وضع نفسه موضع الإمام له ما للإمام الذي تخلع عليه كتب الشيعة ومدوناتها صفات أسطورية تذكرك بمعبودات الرومان.

وفي الصحافة والإذاعة الإيرانية يُسمى الإمام، وهذه التسمية في مدلول الشيعة لها معنى خاص ومنزلة فريدة، وهل هناك فرق بين ادعاء المهدية وادعاء النيابة عن المهدي في كل شيء. وقد فصّل الخميني نظريته هذه في كتابه (ولاية الفقيه) أو ما يسمى بـ (الحكومة الإسلامية).

ويبدو أن هذه النظرية قد أعطت مكاسب ضخمة للآيات ليس من السهل أن يتنازلوا عنها، غير أنها في الباب الآخر فتحت مجالاً نظريًّا لتقويض مذهب الشيعة كله من حيث لا يشعرون، فما دام الخميني فتح باب النقاش العقلي لواجبات الإمام ورضي بتعديلها نتيجةً للعقل والمنطق، فمن المتوقع أن يطالب كثيرون بعده بإخضاع بقية تفاصيل الدين للنقاش العقلي، مثل العصمة والرجعة والغيبة بل الإمامة نفسها التي هي أساس مذهبهم، بل إن كثيرًا من المثقفين في الشارع الإيراني بدؤوا بالفعل يسخرون من فكرة الإمام الغائب علنًا، وبعضهم يسخر من نائبه الحالي الذي لم يكن معصومًا قبل منصبه الجديد، ثم صار كذلك![٤].

الشيعة الإمامية يرون أن الولاية تكون للفقيه.. أما أهل السنة فيرون أن الولاية تكون (للأمة)، وهي تعني حق الأمة في اختيار حكامها وتوليتهم وعزلهم ومحاسبتهم إذا لزم الأمر.

وقد وضح ذلك من مبايعة جميع الصحابة في دار السقيفة لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكذلك بيعة عمر وعثمان وعلي وعمر بن

عبدالعزيز. ووضح ذلك من اتفاق الحكمين أبي موسي الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما من رد الأمر إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ (أي إلى الأمة).

لقد كان الإسلام عظيماً حينما اعتمد نظرية (ولاية الأمة).. وهذا يعطي الاستقلال لكل دولة في اختيار حكامها.. بل إنه يعطي سكان الولايات حق اختيار حكامها المحليين بالانتخاب، كما يحدث الآن في النظام الفيدرالي الأمريكي وفي بريطانيا وفرنسا.. ليكون ولاؤهم للشعب الذي أولاهم ثقته وعينهم .. ولا يكون ولاؤهم للحاكم الذي منّ عليهم بهذه الوظيفة.

إن بعضهم يظن أن نظرية (ولاية الأمة) أو سيادتها تعاكس مبدأ تطبيق الشريعة، ناسين أن سيادة أو ولاية الأمة تعني أن الأمة هي (صاحبة السلطات) لأنها تملك توليتها ومحاسبتها أو عزلها بالطرق القانونية والسلمية، أما الشريعة الإسلامية فتمثل الإطار القانوني للدولة .. أو ما يطلق عليه المرجعية القانونية العليا للدولة.

(وولاية الأمة أو سيادتها) يتيح لفقهاء ومفكري كل دولة أن يجتهدوا فيما يناسب هذه الدولة من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية .. فلكل دولة ظروفها .. ولكل شعب أعرافه ومداخلاته ومخرجاته، وما يحب وما يكره .. شريطة ألا يصطدم ذلك بثابت من ثوابت الإسلام أو يحل حرامًا أو يحرم حلالًا .. وهذا كله يعطي الشريعة الغراء ومذهب أهل السنة والجماعة مرونة سياسية واقتصادية وإدارية كبيرة تمكنها من التعامل مع شتى المجتمعات والأعراف مهما كان تباينها .. ولعل ذلك يعد سرّاً من أسرار خلود الشريعة الإسلامية[٥].

إن فكرة «ولاية الفقيه» تنحي الأمة جانبًا «وهي من هي».. وتقدم الفقيه عليها .. والأمة أولى من الفقيه مهما كان علمه وشأنه وتضحياته.

وإن فكرة «ولاية الفقيه» تعتمد على عصمة الإمام أو الفقيه.. والعصمة انتهت بموت النبي ﷺ، .. لأن العصمة مستمدة من الوحي وبانقطاع الوحي تنقطع العصمة.

فالرسول ﷺ، بشر كسائر البشر ولكنه يتميز عن غيره بالوحي الذي يعصمه، ويصحح اجتهاده، ويصوب حركته باستمرار قال تعالي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾.

أما اجتهادات الرسول ﷺ، البعيدة عن الوحي فهي محل أخذ ورد، سواءً في الحرب أو الزراعة أو شؤون الحياة التي لا وحي فيها.. وقد حصرها الفقهاء وأوسعوها ذكراً.

ولذلك قال الصحابي الجليل للرسول ﷺ، بعد أن نزل بالجيش خلف آبار بدر: (أمنزل أنزلكه الله، فلا نتقدم عنه أو نتأخر .. أم هو الرأي والحرب والمشورة)؟ فرد عليه النبي ﷺ: **بل هو الرأي والحرب والمشورة**، فقال الصحابي: (ليس هذا بمنزل)، وكأن الصحابي، رضوان الله عليه، أراد أن يفرق بين اجتهاد الرسول ﷺ البشري الذي يقبل الأخذ والرد وبين ما جاءه عن طريق الوحي الذي يلزم جميع المسلمين.

إن فكرة (عصمة الإمام) تجعله وحكمه غير قابلين للنقد أو التصويب أو التصحيح، وتجعل قوله ملزماً للكافة والخاصة والعسكريين والسياسيين والاقتصاديين، حتى في مجالات تخصصهم، وهذا موضع خطر عظيم في إدارة الدول ومؤسساتها.

ورحم الله أبا بكر الصديق الذي قال: (إن أصبت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني).. على الرغم من أنه أكثر المسلمين إيماناً وأعظمهم عطاءً. وهذا عمر بن الخطاب أعظم حكام المسلمين قاطبة يقول: (أصابت امرأة وأخطأ عمر).

إننا في حاجة إلى (ولاية الأمة) لأنها أقرب إلى النفوس والنظم العالمية الحديثة وكفيلة بأن تتولى الأمة كلها مسؤولياتها، ولا تضعها برمتها في عنق شخص أو أشخاص مهما كان صلاحهم وتقواهم وتضحياتهم ونظافة أيديهم[٦].

الهوامش:

(١) د. محمد السيد سليم، صحيفة الشروق المصرية، ٧ يوليو ٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الخميني وولاية الفقيه، المصدر: مجلة السنة - العدد ٩٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) د. ناجح إبراهيم، ولاية الفقيه أم الأمة.. رؤية شرعية سياسية، جريدة الوطن المصرية، ٢٥-١٠-١٤٣٣هـ/ ١٢-٩-٢٠١٢م.

(٦) المرجع السابق.

الفصل الثلاثون

حتى لا يكون العرب فريقين:

أحدهما مع (الروم) والثاني مع (الفرس)!

الفصل الثلاثون

حتى لا يكون العرب فريقين:

أحدهما مع (الروم) والثاني مع (الفرس)!

كان قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م فتنة كبيرة للعرب والمسلمين، فالإعلام الإيراني ومعه إعلام غالبية الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، صور الأمر على أنه نجاح للعرب والمسلمين ضد محاولات السيطرة والهيمنة الغربية، وكذلك ضد المشروع الصهيوني في العالم العربي.

وقد صدّق الكثيرون هذا الكلام وهذه الادعاءات لثلاثة أسباب رئيسة: السبب الأول أن سلوك النظام السياسي الذي تمخضت عنه الثورة الإيرانية لم يكن قد تراكم، وكذلك لم يكن قد تأكد ممارسته لتصدير الثورة ونشر المذهب، ولم يكن الوجه الفارسي قد ظهر بعد. والسبب الثاني أن الحركات الإسلامية، وخاصة في البلاد العربية، اعتبرت أن الثورة الإيرانية بشرى خير لها، فكما استطاع الإيرانيون إسقاط النظام غير الإسلامي الموالي للغرب وإسرائيل، فإنه فأل حسن للحركات الإسلامية العربية للسير على الطريق نفسه. والسبب الثالث أن الشعوب العربية والإسلامية اعتبرت أن الغرب طالما يهاجم الثورة الإيرانية، فإن هذا معناه أنها تسير على الطريق الصحيح.

وجاءت خطب آية الله الخميني وتصريحاته، المنددة بالغرب وإسرائيل، والرافعة للشعارات الإسلامية، لتجعل الكثير من العرب والمسلمون ينخدعون بهذه الشعارات، ويعجبون بالزعامة الثورية الإيرانية، وبالثورة الإيرانية بشكل عام.

وهز الخميني كثيراً من الأوساط العربية حين أدت ثورته إلى تغيير البنية السياسية والاجتماعية والدينية في إيران بشكل جذري، وأدت إلى إرساء دعائم نظام يقوم (شكليًّا) على مبادئ الديمقراطية (حيث الانتخابات البرلمانية وتداول السلطة فيما دون المرجع الأعلى).

وقد كانت للخميني كاريزما ونجاحات سياسية، جعلت أعداداً من الشباب السنة يعجبون، ليس بالسياسات الإيرانية فحسب، بل بالمذهب الشيعي نفسه، واستمر ذلك سنوات طويلة حتى تراكمت السياسات الإيرانية، وانكشف الوجه الطائفي لإيران.

وتوالت الكاريزمات بعد الخميني، فجاء محمد خاتمي رئيساً لإيران، وهو يشكل رمزاً للسياسي المستنير والمتوافق في ذات الوقت مع المبادئ الدينية الشيعية، فوسع بذلك الإعجاب بالشيعة ونجاحاتهم في الحفاظ على منظومتهم السياسية والاجتماعية، ووقوفهم أمام العالم الغربي، وخاصة أمريكا، دفاعاً عن هويتهم وكرامتهم ومصالحهم، وقد حققوا من ذلك الكثير، على الرغم من حدوث أزمات كانوا يخرجون منها بمكاسب محسوبة في كل مرة.

وجاء أحمدي نجاد ليشكل، في نظر الشباب العربي المخدوع، رمزاً لبطل قومي شيعي يكافح من أجل امتلاك بلاده للسلاح النووي، أمام غطرسة القوة

الأمريكية الباطشة والباغية والبليدة، واستطاع هو ومؤسسة الحكم في إيران أن يديروا المواجهة مع أمريكا والغرب بنجاح حتى هذه اللحظة.

ولم يتوقف ظهور الشخصيات ذات الكاريزما على إيران، وإنما ظهرت كاريزما أخرى في لبنان ممثلة في حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، فهو يمتلك مظهراً وفصاحة لسان وثقافة وقدرة على مخاطبة العقول، وتزامن ظهوره في الإعلام مع عدد من العمليات العسكرية التي سجلت انتصاراً عسكريًّا لـ (حزب الله) على إسرائيل، فأدى ذلك إلى حالة من الانبهار بشخصية حسن نصر الله، ولم تتوقف هذه الحالة عند عامة الناس، بل امتدت إلى قطاعات كبيرة من المثقفين وجدوا في حسن نصر الله صورة القائد العربي المسلم المنتصر.

وما أدى إلى تنامي ظاهرة الإعجاب بالسياسات الإيرانية والمعبرين عنها، حالة الاستبداد السياسي في العالم العربي، وحالة الفساد التي أصابت أجهزة الحكم، وحالة التردي في الأوضاع العامة، وحالة الاستسلام والخضوع للإرادة الأمريكية التي وصلت في كثير من الدول العربية إلى حالة من التبعية الذليلة للمشروع الأمريكي الصهيوني.

ها نحن الآن قد رصدنا الطرف العربي المعجب بالسياسات الإيرانية، وهذا الطرف، وإن كان في تناقص بشكل مطرد، بسبب الوجه المتعصب للسياسة الإيرانية، وانكشاف الدور الإيراني السلبي في أفغانستان والعراق والبحرين ولبنان واليمن، بل كثير من الدول العربية.

والطرف الثاني الذي نريد أن نرصده هذا القطاع من العالم العربي الذي يؤيد الرؤية الغربية والأمريكية، فهو قطاع غير قليل، أغلبه من المثقفين

الذين درسوا في الخارج، أو انهزموا أمام العلم الغربي والثقافة الغربية والحضارة الغربية. وهؤلاء يعيشون بين ظهرانينا بأجسادهم فقط، أما عقولهم وقلوبهم فهي مع الغرب وثقافته وحضارته ونمط عيشه وسياساته.

ومن أكبر العوائق التي تحول بيننا وبين النهضة المرتقبة، التي يرجى أن تحررنا من سيطرة الغرب الصليبي الاستعماري الراعي للصهيونية ضدنا، تلك الهزيمة النفسية التي أصابت قادة الرأي وأصحاب القرار منا، حتى أصبح هؤلاء لا يرون العلم والمنطق والفكر إلا في هذا الغرب، بينما لا يرون في أمتهم أي إضافة وأي خير.

وبلغت الهزيمة مداها، فأصبح حملة الشهادات العليا يتفاخرون بأنهم خريجو (أكسفورد) و(السوربون) و(كلورادو) و(ميتشجان) ...إلخ، ويعرفون عن (شكسبير) و(دانتي) و(نيتشه) و(فولتير) و(جان جاك روسو) أكثر مئات المرات مما يعرفون عن أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وابن حجر والذهبي والسيوطي والعز بن عبدالسلام...إلخ هؤلاء الأفذاذ الذين أضافوا للمعرفة الإنسانية وللعلم الكثير والكثير[1].

والخوف من أن يصبح العالم العربي مقسماً بين نفرين: الأول هواه وقلبه مع المشروع الفارسي والسياسات الإيرانية المغلفة بالغلاف الإسلامي، أي إن هذا النفر مع معسكر (فارس)، والثاني هواه مع المشروع الغربي الأمريكي الأوروبي، أي إنه مع معسكر (الروم).

فهل بعد أن أكرمنا الله سبحانه بالإسلام، وبعد أن قويت دولة الإسلام في الجزيرة العربية، وما جاورها حتى تمكنت من فتح بلاد فارس وبلاد الروم،

هل ننسى ذلك ونعود أدراجنا مرة أخرى إلى ذل وتبعية ما قبل الإسلام، ويصبح قطاع منا مبهوراً ومعجباً ومؤيداً لفارس، ويصبح القطاع الآخر مبهوراً ومعجباً ومؤيداً للروم؟

إن الصراع الإيراني الغربي (الفارسي الرومي)، له أطراف متعددة؛ فالطرف الرئيس فيه - بعد إيران - هو الولايات المتحدة الأمريكية، والطرف الثالث هم العرب، وبخاصة دول الجوار الإيراني، والطرف الرابع هو دولة اليهود (إسرائيل)، والطرف الخامس هو ما يسمى (المجتمع الدولي)، وأبرز أعضائه فيما يتعلق بتلك الأزمة هو أوروبا وروسيا والصين. وقد كانت المواقف التاريخية تؤكد الآتي:

أولاً: هناك نِدِّيَّة تقليدية بين كل من الغرب النصراني والطرف الإيراني، وهذه الندية الضدية تعد امتداداً لما كان في سالف الزمان من صراع اعتقادي وعنصري بين الفرس والروم.

ثانياً: الصراع بين الطرفين؛ كانت ساحته التقليدية عبر التاريخ، تمتد على طول المسافة بينهما من أقصى شرق العراق، إلى أقصى غرب الشام، وما يحاذيهما من أراضي شمال الجزيرة العربية، إضافة إلى ضفافها الشرقية.

ثالثاً: الطرفان المتصارعان على الرغم مما بينهما من بغضاء وعداء على مر التاريخ، كانا - ولا يزالان - يشتركان في النظر إلى العرب نظرة دونية، ملؤها الاحتقار، وهاجسها السيطرة والاحتكار، وفق مصالح الطرفين فقط.

رابعاً: هذه الكراهية المشتركة والممتدة عبر التاريخ للعرب، كانت تمزج دائماً بين الحقد العنصري، والبغض العقديّ. فالفرس كانوا قبل الإسلام

يزدرون العرب عنصريًّا، وبعد الإسلام كانوا - إلا من طهره الله بالدين الصحيح - يتعالون على العرب دينيًّا ومذهبيًّا، ويحاولون أن يجعلوا من أنفسهم حماة دين الإسلام الذي اختصروه كله في محبة أهل البيت بزعمهم. وأما النصارى الغربيون، فقد كانوا قبل الإسلام وبعده يجمعون في موقفهم من العرب بين بغض عنصري وحضاري وبُعد ديني.

خامسًا: وأما الطرف الرابع، وهم اليهود، فلا يشك أحد في أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، سواء كانوا عرباً أو عجماً؛ غير أن بغضهم للعرب أشد؛ لأنهم يبغضونهم دينيًّا بوصفهم مسلمين، وعنصريًّا بوصفهم عرباً، وموقف هؤلاء المغضوب عليهم من النصارى الضالين معلوم، فهم - دائماً - يتخذون منهم حميراً تُركب للوصول إلى مآربهم، وموقف اليهود من الفرس قبل الإسلام كان فيه تقارب بسبب إعادة الفرس ليهود السبي البابلي إلى فلسطين، وأما بعد الإسلام، فإن بغض العروبة بوصفها عنصر، والسنَّة بصفتها مذهباً، كان عاملاً مشتركاً بين اليهود وجمهور من الفرس المتشيعين، وهذه هي الأرضية التي بنى عليها عبدالله بن سبأ اليهودي دعائم المذهب الشيعي، حيث حملها فئام من الفرس بحماس، وتصدروا لها بإصرار؛ لأنها - باختصار - تقوم على بغض يهودي فارسي للعرب، وكل ما يتفرع عن ذلك مجرد تفاصيل.

سادساً: وأما ما يسمى (المجتمع الدولي) بدوله الكبرى، فإن الكِبْر يجمعها، والمصالح تفرقها، وهي إن تلاقت مصالحها مع العرب حيناً، فإن غلبة العداوة تتغلب عليها أحياناً، ولا نستثني من ذلك الروس أو الصينيين،

فلم يحدث أن أنصفوا المسلمين عموماً والعرب خصوصاً في أي قضية من قضاياهم المعاصرة، مع كامل قدرتهم على ذلك، لا، بل إن سياسة الروس على وجه الخصوص، كانت دائماً الطعن في الظهر، مع التبسم في الوجه.

وخلاصة تلك المواقف، هي أن أهل السنة بعامة، والعرب منهم خاصة، هم مجمع عداء الجميع، وموضع مكر الجميع، في الماضي والحاضر والمستقبل، وعليهم جميعاً أن يعوا درس التاريخ في ذلك[٢].

الهوامش:

(١) السيد أبوداود، جريمة المنهزمين نفسيًّا في حق أمتهم، موقع لواء الشريعة، ٢٠ - ١١ - ٢٠٠٨م.

(٢) د. عبدالعزيز مصطفى كامل، أزمة الخليج الرابعة هل تعيد الصراع بين الفرس والروم؟ موقع صيد الفوائد، دون تاريخ.